

تأملات في مواجع البستاني

■ عنوان

الشعر وسيلة لاكتشاف العالم.. لا بل واداة لتفسيره وتغييره.. عبر عملية الخلق الشعري التي هي نتاج محصلة قوى الشاعر ومكتسباته الحياتية ورؤاه الخاصة من خلال الالتقاط الواعي والحضور التام للاشياء ..كون الوعي الواقعي لا يكون مفهوما الا اذا كان منطويا على وعي فني وجودي فاعل..

والشاعرة الدكتورة بشرى البستاني في مجموعتها (مواجع باء . عين) الصادرة عن دار مجدلأوي للنشر والتوزيع /٢٠١٠ بست وعشرين قصيدة مشبعة بانتفاضة احتجاجية مدوية ضد الاحتلال..وهي موزعة ما بين المقطعية والنصبة الشعرية التي يتأسس فيها البناء الشعري من تشكيلات الماضي ودمجها بالحاضر ..بحيث تولد تواملا يتم فيه اسقاط الماضي في احضان الحاضر باستخدام السرد المكثف البعيد عن الوصفية..

هذا الشعب اليدعى ايوب

ابصر كيف يموت..

ضلعا..ضلعا

ويضيق به التابوت.. /ص٢٢

فخطاب الشاعرة خطاب الذات ومناجاتها للتعويض عن الغربة والموت البطيء..لغرض ايجاد حالة من التوازن بينها والعالم الملتهف حولها..فكانت رؤيتها تتصل بطبيعة تكوينها الفكري والروحي باعتمادها الوحدة والكثافة المركزة وانزياح اللغة عن المألوف.. فهي عندما تعطي الفعل (يُدعى) (ال) التعريف تعطيه ثقل الاسم وتشحنه بشحنة دينامية تنقله من الدرامية

وتخرجه من حيزه اللغوي المألوف الى معنى اكبر واوسع.. اما التكرار فقد جاء للتوكيد وازالة الشك واضفاء موسيقية على انسيابية النص وجماله من اجل تفعيل الاثر الحسي والذهني..اضافة الى توظيفها لتقانة التنقيط التي استدعت حضور المتلقي كي يكون مشاركا في البناء النصي.. وهذا يعني ان الشاعرة كانت بارعة في توظيف تقاناتها الفنية من جهة وزخرفة ابعاد المفردة واكسابها احياء منبثقا من داخل التجربة من جهة اخرى..كون الكلمة كما ورثناها لا تعبر عن كثافة انفعالية او رؤيوية..بل عن علاقة خارجية..انها شبه حيادية لانها مملوءة بدلالة تاتيها من الخارج كما يقول ادونيس ، تقول الشاعرة ..

من بابل تتصاعد الالواح

نحو قيامة الموت المجيد

من بابل ترقى الحجارة

نحو تاج الافق

عبر سواعد النخل العتيد

من بابل بدأ الخليل

وخط في سفر الحقائق: فاعلن..متفاعلن

ورمى الرقائق والحرائق والرقى..

فليبدأ العزف العظيم /ص ٣٥

فالنص الشعري عندها يتحرك عبر لغته بطاقة ايحائية لا تعرف السكون وهي تمزج ما بين المشهد والحدث لخلق انموذج من القول الشعري.. ففي نصها هذا تنطلق الشاعرة من بؤرة حضارية تشكل البؤرة الدلالية التي تتسم روحها بتصاعد فعلها..(من بابل تتصاعد الالواح)..اذ تصاعد الفعل المنحصر في الالواح الرمز المضاف الى العنوان(بابل)..المدال المعرفي والمفتاح

التأويلي للنص والعتبة الأولى التي تتمحور حولها اشعاعاته.. لغرض فتح مغاليقه المكتظة بالرموز.. وهذا يعني ان الشاعرة تقدم ثنائية متشكلة من الماضي والحاضر.. لتأكيد الترابط الجدلي بين الازمان.. اضافة الى ذات الشاعرة والذات الجمعي لتأكيد الوجود حاضرا.. مع توظيف للميثولوجيا الدينية من خلال (الالواح).. فهي توظف الرمز كإطار لمضمون حضاري معاصر برؤيا فنية لجأت اليه الشاعرة بعد ان احست بالغبية الذاتية والمكانية.. والتمزق النفسي والاضطراب الداخلي والقلق الوجودي..

وانا اخبيء صرختي في الريح

ما بين المكيدة والغيوم المطفأة

هل كنت قربي في المساء

خبأت وجهك في شراعي

واختبأت بغصن زيتون

على عينيك يومض بالوداع..

هل كنت قربي في المساء.. /ص ٣٧

فالرمز التقانة الفنية التي وظفتها الشاعرة كوسيلة للإيحاء وتحقيق ما خلف الالفاظ من دلالات ومعان يشكل حيزه الزمكاني.. اذ اتكأت عليه الشاعرة بوصفه وليد رؤيا شفيفة تضيء النص وتعبر عن حالة حضارية ونفسية باستخدام لغة مشحونة بشحنات دلالية وفكرية اكثر عمقا.. فرمز (بابل) الحضاري.. المعرفي توظفه الشاعرة توظيفا استعاريا حيث يتحول من دلالاته الزمانية الماضية ليعايش الواقع بحاضره.. وهذا يعني تشكيل ثنائية (الماضي . الحاضر/ البعيد . القريب).. فبابل البعيدة في امتدادها التاريخي الواقعي.. لكنها قريبة من ذات الشاعرة.. ذائبة فيها.. اضافة الى ان هناك رموز الطبيعة التي هي (عملية الحياة والحركة العضوية التي تسير في الكون..). كما يقول هيربرت ريد.. والتي شكلت عنصرا رمزيا فاعلا في بناء النص.. فهناك (الماء .

الجدار. الريح . الغيوم . الشراع . الصحراء . النخيل..).والتي اخذت بعدها الرمزي العميق الذي يكشف عن حالة الشاعرة من الناحية النفسية ..فضلا عن رموز فنية تربط ما بين الفرح والحزن..كون الشعر احساس وتعبير وجداني وهو فن الرمز والترميز على حد قول فاليري..كون الرمز احد اقانيم القصيدة الحديثة وتوظيفه في متن النص يعني الوصول الى غاية شعرية تؤدي وظيفة دلالية وجمالية وفكرية..اذ بعث الروح وسياحة الفكر في الاحداث عبر الوعي الممكن كما يقول ماكس فيبر..كون الرمزية الشعرية تفرض متلقيا واعيا يخوض مغامرته القرائية للكشف عما وراء النص من جمالية يتجاوز المحسوس والغوص في عالم الاشارة والايماء الذي يسمو بالذوق صوب المعرفي..كونه وسيلة تعبيرية لاثراء التشكيل الشعري..اضافة الى انه منهل من مناهل التجربة واداة للتعبير عن حالات نفسية باعتباره وليد رؤيا شفيفة تضيء النص بافقه المفتوح تأويلا.. وهذا كله يكشف عن قدرة شعرية تحقق الانزياحات ضمن رؤية النص ومنظوره..

حينما قلت ابتعد..

كانت دمائي

فوق كفيك تنز النار

كان الصمت في عينيك يجتاز الممرات

ويمتد الى هاوية اخرى

وكان الليلك الوردِي يسَاقط

قالت ظبية مذبوحة:

لا تسدلوا فوقي الغباز

بل اعينوني على خرق جدار / ص ٥٣

فالبناء الشعري في مواجع البستاني يقوم على درامية تتحرك في فضاء

الاحتلال الذي تقاومه بالرقص الموجه المحاصر بالاغتراب..فيكون الزمن النفسي الشعوري عندها محكوما باللحظة النفسية وهو زمن رافض ومقاوم للحظة الخراب والموت المنتظر..

يامعلم الاسماء

هل وجدت اول الطريق..؟

يا سرحة بالقاع: أي النخل يفضي للخليل

وايها يذهب للاصيل

لا ناي ..لا دليل /ص ١١٠

فالنداء هنا جاء لاضفاء غنائية شعرية بحس انساني..متدفق بتواصله والوجود الطبيعي المتكئ على شعرية المفردة واستنطاق كينونتها لتفعيل اثرها الحسي والذهني..اما الاستفهام فقد شكل صورة حسية متحركة استمدت حركيتها من دلالة الفعل(وجد . يفضي . يذهب..) فجاءت الصورة (الكيان العضوي المتوالد بالحدس النافذ الى روح الاشياء..) بمستويين اولهما دلالي وثانيهما اجرائي..اذ تعرض الشاعرة موقفا يؤشر طبيعة الصراع الذاتي والمحيط الذي تشكل فيه الذات جزء من الذات الجمعي ضمن الزمكانية ..مع تكتيك فني يقتضي التروي من اجل تعميق الفكرة المرسله للمتلقي..

وبذا قدمت البستاني الشاعرة نصوصا عبر مواجهها ومواجه (بغداد . عراق) يتعانق فيها التخيلي بالواقعي المنظور الذي ينم عن قدرة بنائية وصور شعرية تقوم على مدركات عقلية تكشف عن وعي شعري يتكئ على وحدة موضوعية..كونها تدفع بدينامية الكتابة الى اقصاها لكي تتوالد صانعة رؤيا مكثفة تسبح في عالمها الحلبي..مع سيطرة على الطاقة اللغوية بكل ارتباطاتها..اذ ان جوهر النص يكمن في احضان الخلفية اللغوية لتحقيق الوظيفة الشعرية ومن ثم التعبير (غير العادي عن عالم عادي)كما يقول جان كوهن.